حكم العمل في جماعة

بسم الله الرحمن الرحيم

حكم العمل في جماعة *

من الأدلة على وجوب العمل في جماعة ليتسنى للمرء القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قول الله عز وجل:

١- **(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)** (آل عمران: ١٠٣).

وحبل الله هنا: هو القرآن، ورواه علي، وأبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ، وعن مجاهد وقتادة [١] مثل ذلك، والمعنى الحق الذ يه رسول الله ﷺ، وروي عن ابن مسعود أنه قال: هو الجماعة.

قال القرطبي[٢]: والمعنى متقارب متداخل، فإن الله تعالى يأمر بالألفة، وينهى عن الفرقة، فإن الفرقة هلكة، والجماعة نجاة، ورحـ ة ابن المبارك حيث قال:

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا *منه بعروته الوثقى لمن دانا*

قال الجصاص[٣]: هو أمر بالاجتماع، ونهي عن الفرقة الذي أمروا جميعاً بلزومه والاجتماع عليه.

٢- ومن الأدلة كذلك:

(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب) (المائدة: ٢)

قال ابن كثير[٤]: يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات وهو البر، وترك المنكرات، وهو التقوى، وينهاهم عن اصر على الباطل، والتعاون على المآثم والمحارم.

وقال ابن جرير[٥]: وليعن بعضكم بعضاً أيها المؤمنون على البر، وهو العمل بما أمر الله وهو التقوى: هو اتقاء ما أمر الله به نه واجتنابه من معاصيه، وعلى هذا فقد أمر الله بالتعاون على أمر دينه، والأمر للوجوب.

وأي بر وأي خير أعظم من إعادة المجتمع المسلم الذي يقيم شريعة الله جميعها ويحيا من أجلها، وأي شر وأي إثم أعظم من أن دينُ الله نهبة للناهبين، وحمى مستباحاً لكل ظالم وطاغية، ولكل ضعيف مستضعَف.

إن ترك التعاون لإعادة دين الله إلى الوجود هو أكبر جريمة يرتكبها الناكصون على أعقابهم، المتقاعسون عن التفير لبناء هذا من جديد، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الفرائض التي يُتقربُ بها إلى الله.

يقول الشوكاني[٦]: (إن مَن أخل بواجب النهي عن المنكر فقد عصى الله سبحانه، وتعدى حدوده، والأمر بالمعروف والنهي عن من أهم القواعد الإسلامية، وأجل الفرائض الشرعية، ولهذا كان تاركه شريكاً لفاعل المعصية، ومستحقاً لغضب الله وانتقامه، ـع لأهل السبت، فإن الله سبحانه مسخ من لم يشاركهم في الفعل ولكن تركَ الإنكار عليهم، كما مسخ المعتدين فصاروا قردة ر)، والشوكاني يشير إلى الآيات القرآنية في الأعراف **(وإذ قالت أمة منهم لم تعظونَ قوماً الله مُهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون، فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا ن، فلما عتَوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين)** (الأعراف ١٦٤-١٦٦).

ن عكرمة[٧] أن ابن عباس قال له: قد أعياني أن أعلم ما فعل الله بمن أمسك عن الوعظ من أصحاب السبت فقلت له: أنا أعرفك إ الآية الثانية قوله تعالى **(أنجينا الذين ينهون عن السوء)** قال: فقال لي أصبت وكساني حلة.

ل الجصاص[٨]: فاستدل ابن عباس بذلك على أن الله أهلك مَن عمل السوء، ومن لم ينه عنه، فجعل المسكين عن إنكار ـنزلة فاعليه من العذاب.

مذا الكتاب كبير جداً حيث وجدنا ملزمة كبيرة لنفس الموضوع بخط الناسخ ولكننا لم نتأكد أنه من كلام الشيخ فاقتصرنا على الملزمة التي بخط الشيخ فقط.

القرآن لابن العربي (١/٢٩١). ٢- تفسير القرطبي (٤/١٥٩). ٣- أحكام الجصاص (٢/٣١٤).

علي القدير لاختصار ابن كثير لنسيب الرفاعي (١/٤٨٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٢٧٦). ٥- تفسير الطبري (٦/٦٦).

لشوكاني (فتح القدير ٢/٦٦). ٧- أحكام القرآن للجصاص (٢/٣١٩). ٨- أحكام القرآن للجصاص (٢/٣١٦).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

فريضة بإجماع المسلمين

أجمع السلف والخلف أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة يجب أن يقوم بها قسم من الأمة -في حالة وجود الدولة الإسلامية، والأمة المسلمة التي تعيش في إطار المجتمع المسلم الخاضع لشرع الله ومنهاجه- وإلا كانت الأمة كلها آثمة.

هذا في حالة قيام المجتمع المسلم، أما عند غيابه فيصبح الأمر بالمعروف فرض عين على كل مسلم ومسلمة.

ولقد اتفق الفقهاء أنه إذ اغتُصِب شبرٌ من أراضي المسلمين أصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم، حتى تخرج المرأة بغير إذن زوجها، وإذا سُبيت امرأة في المشرق وجب على أهل المغرب افتداؤها، ولو أتى على أموالهم جميعاً. هذا في حالة اغتصاب شبر أو سبي امرأة، فكيف إذا اغتُصبَ دينُ الله وأُزيل من الوجود والشهود.

قال الجصاص في أحكام القرآن (١٥٤/٤): (إن الله تعالى فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواضع من كتابه، وبينه رسول الله ﷺ في أخبار متواترة عنه فيه، وأجمع السلف وفقهاء الأمصار على وجوبه).

وقال ابن العربي في عارضة الأحوذي (١٣/٩): (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل في الدين، وعمدة من عمد المسلمين وخلافة رب العالمين، والمقصود الأكبر من فائدة بعث الرسل، وهو فرض على جميع الناس مثنى وفرادى بشرط القدرة عليه)، والقدرة المشترطة هنا: في حالة الأمر بالمعروف، وتغيير المنكر باليد أو باللسان، ولكن هذا لا يعفي إنكار المنكر بالقلب مع المقاطعة وعدم الخلطة).

قال ابن عطية[١]: (والإجماع منعقد على أن النهي عن المنكر فرض لمن أطاقه، وأمن الضرر على نفسه، وعلى المسلمين، فإن خاف فينكر بقلبه ويهجر ذا المنكر ولا يخالطه).

ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يوجب اللعنة من الله :

يقول الله عزوجل: (**لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصَوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون**) (المائدة : ٧٨-٧٩)

وهاتان الآيتان فيمن تركَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه وقلبه، أو أنكر بلسانه مع المخالطة والمعايشة والمؤاكلة. فلقد استحقوا اللعنة بالعصيان والاعتداء، وهو تركُ النهي عن المنكر، وهذا الذي فسره قوله ﷺ فيما رواه عنه ابن مسعود قال: قال ﷺ: {**لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم، وواكلوهم وشاربوهم، وضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، قال: فجلس رسول الله ﷺ وكان متكئاً فقال: والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطراً**} ، قال الترمذي[٢]: حديث حسن غريب، وقد رأينا في قصة أصحاب السبت أن الله عزوجل مسخ الساكتين عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الذين اعتدوا في السبت.

وفي صحيح مسلم[٣]: {عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: {**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يُؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**}.

وإذن فالأمر جد فلا بد من الجهاد باليد، أو باللسان، أو بالقلب، والجهاد بالقلب عملية إيجابية لها آثرها في واقع الحياة بالمقاطعة، والإعراض، وعدم التعاون، وهذه أدنى مرتبة الجهاد، ولا يبقى بعدها من الإيمان حبة خردل.

وأقل درجات الإيمان الإنكار القلبي، الذي إن اتفقت عليه الأمة لا يظهر فيها فساد، ولا يطفى فيها غشوم، ولا يعلو فيها متجبر، وهذا المسمى بالعصيان المدني، وفي صحيح مسلم[٤]: عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنه قال: {**إنه يُستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع**}.

لا بد من الكراهية القلبية، والإنكار بأية وسيلة من وسائل الاحتجاج، وإن ترك الإنكار القلبي يخرج صاحبه من دائرة الإيمان.

وأبو حنيفة يرى ضرورة العمل الجماعي والالتقاء على رجل صالح

قال ابن المبارك: لما بلغ أبا حنيفة قتلُ إبراهيم الصائغ بكى حتى ظننا أنه سيموت، فخلوت به فقال: كان والله رجلاً عاقلاً، ر
كنت أخاف عليه هذا الأمر.

قلت: وكيف كان سببه؟ قال: كان يقدم ويسألني، وكان شديدَ البذل لنفسه في طاعة الله، وكان شديدَ الورع، وكنت ربما قد إليه الشيء فيسألني عنه ولا يرضاه ولا يذوقه، وربما رضيه فأكله، فسألني عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى أن اتفقنا فريضة من الله تعالى، فقال لي: مد يدك حتى أبايعك، فأظلمت الدنيا بيني وبينه، فقلت: ولم؟ قال: دعاني إلى حق من حقوق الله فامتن عليه وقلت له:إن قام به رجل وحده قُتِل، ولم يصلح للناس أمر، ولكن إن وجد عليه أعواناً صالحين ورجلاً يرأس عليهم مأموناً على د الله لا يحول. وكان يقتضي ذلك كلما قدم عليَّ تقاضي العزيمة الملح، كلما قدم عليَّ تقاضاني، فأقول له هذا أمر لا يصلح بواحد، أطاقته الأنبياء حتى عقدت عليه من السماء، وهذه فريضة ليست كسائر الفرائض، لأنَّ سائر الفرائض يقوم بها الرجل وحده، و متى أمر به الرجل وحده أشاط بدمه، وعرض نفسه للقتل، فأخاف عليه أن يعين على قتل نفسه، وإذا قُتِلَ الرجلُ لم يجترئ غيرُه يعرض نفسه، ولكنه ينتظر، وقد قالت الملائكة:

(أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون) (البقرة: ٣٠)

ثم خرج إلى مرو حيث كان أبو مسلم فكلمه بكلام غليظ، فأخذه، فاجتمع عليه فقهاء أهل خراسان وعبادهم حتى أطلقوه، اوده فزجره، ثم عاوده، ثم قال: ما أجد شيئاً أقوم به لله تعالى أفضل من جهادك، ولأجاهدنك بلساني، ليس لي قوة بيدي، ولا اني الله وأنا أبغضك فيه، فقتله.

هذا قول أبي حنيفة وهو يؤكد على ضرورة العمل الجماعي من أجل القيام بفريضة الأمر بالمعروف.

أرأيت قوله[1]:(ولكن إن وجد عليه أعواناً صالحين ورجلاً يرأس عليهم مأموناً على دينه فلا يحول) أي يجب العمل معهم، فلا قيادة صالحة مأمونة على دين الله وجند صالحين صادقين)[٢]

(هذا أمر لايصلح بواحد،ما أطاقته الأنبياء حتى عقدت عليه من السماء وهذه فريضة ليست كسائر الفرائض لأن سـ رائض يقوم بها الرجل وحده).

يقول ابن تيمية في الفتاوى(١٢٧/٢٨): (والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون تارة بالقلب، وتارة باللسان، وتارة باليد، فـ ب فيجب بكل حال، إذ لا ضرر في فعله، ومن لم يفعله فليس هو بمؤمن، كما قال النبي ﷺ: **{وذلك أدنى -أو- أضعف الإيما** ـ: ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل، وقيل لابن مسعود: من ميت الأحياء؟ فقال:(الذي لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً).

وأصل هذا أن تكون محبة الإنسان للمعروف وبغضه للمنكر، وإرادته لهذا، وكراهته لهذا موافقةً لحب الله وبغضه، وإرا هته الشرعيين، وأن يكون فعله للمحبوب، ودفعه للمكروه بحسب قوته وقدرته، فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، وقد قال: **(فاتقو ه ما استطعتم)**.

فأما حبُّ القلب وبغضه، وإرادته وكراهيته فينبغي أن تكون كاملة جازمة، لا يوجب نقص ذلك إلا نقص الإيمان، وأما فعل البـ بحسب قدرته، ومتى كانت إرادة القلب كاملة وكراهته كاملة تامة، وفعل العبد معها بحسب قدرته، فإنه يُعطى ثوابَ الفاعل الكامـ

فهم الصحابة والتابعين لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فقال: إني أعمل بأعمال الخير كلها إلا خصلتين، قال: وما هما؟ قال: لا آ ف ولا أنهى عن المنكر، قال عمر[٣]: (لقد طمست سهمين من سهام الإسلام إن شاء غفر لك، وإن شاء عذبك).

مع الصحيح الترمذي (٨٣/١١).

فتح الباري (٢٣٨/٩)، وصحيح الترمذي (٨٣/١١).

فتح الباري (٢٣٨/٩)، وصحيح الترمذي (٨٣/١١).

صفحة مفقودة

صفحة مفقودة

أي إن من فضل الله ذلك الناموس الإلهي بإبقاء المدافعة بين الأبرار والفجار، وقيام الحرب بينهم، بدون ذلك فإن الباطل يعم الأرض وتفسد البشرية، وكذلك فإن الإنسان يتضاءل وهو يرى تقاعسه إزاء هذا الواجب العظيم، ويدرك القلب من أعماقه التقصير الكبير حيال هذا الأمر.

وإنني أغمض عيني ليتراءى لي شخوص الذي حموا هذا الدين في حقبات التاريخ المتطاولة، ويرى رخص الحياة لديهم ، ترى من بعيد إبراهيم عليه السلام، وكذلك الأنبياء من بعده عليهم الصلاة والسلام، وأصحاب الأخدود، والسحرة، وأصحاب رسول الله ﷺ من وراء قائدهم، ثم مروراً بابن حنبل، وابن تيمية، وسيد قطب، ومروان حديد وعبد العزيز البدري، لقد رتب الرسول ﷺ مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحديث[1] **(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطيع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان).**

فلا يجوز استعمال اللسان حيث أمكن السنان لإزالة المنكر، ولا يجوز الإنكار القلبي حيث أمكن الزجر والتوبيخ والتذكير بالله، قال الحنفية[2]: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لهما حالان:

حال يمكن فيها تغيير المنكر وإزالته، ففرض على من أمكنه ذلك بيده أن يزيله.

وإزالته باليد تكون على وجوه، منها: أن لا يمكن إزالته إلا بالسيف، وأن يأتي على نفس فاعل المنكر، فعليه أن يفعل ذلك، كمن رأى رجلا قصده أو قصد غيره بقتله، أو بأخذ ماله، أو قصد الزنى بامرأة أو نحو ذلك، وعلم أنه لاينتهي إن أنكره بالقول، أو قاتله بما دون السلاح فعليه أن يقتله لقوله ﷺ: **[من رأى منكم منكراً فليغيره بيده]**، فإذا لم يمكنه تغييره بيده إلا بقتل المقيم على هذا المنكر فعليه أن يقتله فرضاً عليه، وإن غلب في ظنه أنه إن أنكره بيده ودفعه عنه بغير سلاح انتهى عنه لم يجز له الإقدام على قتله، وإن لم يمكن إزالة هذا المنكر إلا بأن يقدم عليه بالقتل من غير إنذار منه له فعليه أن يقتله، ذكر ابن رستم عن محمد بن الحسن: في رجل غصب متاع رجل وسعك قتله حتى تستنقذ المتاع وترده إلى صاحبه.

قال أبو حنيفة في السارق إذا أخذ المتاع: وسعك أن تتبعه حتى تقتله إن لم يرد المتاع، وقال في اللص الذي ينقب البيوت: يسعك قتله.

وقال أبو حنيفة[3] في رجل يريد قلع سنك قال: فلك أن تقتله إذا كنت في موضع لا يعينك عليه الناس، وهذا الذي ذكرناه يدل عليه قوله تعالى (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله)، وكذلك قلنا في أصحاب الضرائب والمكوس التي يأخذونها من أمتعة الناس أن دماءهم مباحة، وواجب على المسلمين قتلهم، ولكل واحد من الناس أن يقتل من قدر عليه منهم من غير إنذار منه له ولا التقدم إليه بالقول.

قال الجصاص[4]: وكذلك حكم سائر من كان مقيماً على شيء من المعاصي الموبقات مصراً عليها مجاهراً بها فحكمه حكم من ذكرنا في وجوب النكير عليهم بما أمكن، وتغيير ما هم عليه بيده، فإن لم يستطع فينكر بلسانه، وعلى هذا فليس خرق النظام في المجتمع المسلم عمل سهل يقترفه مرتكبه فيجد الأيادي التي تربت عليها.

إن انتهاك الحرمات، وتعدي حدود الله أمر يهدد الحياة الاجتماعية، ويقطع حبل الأمن فيها، ومن هنا فإن لم تُعالَج بدواء ناجع فإن الأمور تتميع، وتضيع القيم، ويسود الطغاة، ولقد صور رسول الله ﷺ المجتمع تصويراً دقيقاً بحيث لو سمح لواحد أن يعيث فيه فساداً فإن المجتمع كله يتعرض للانهيار والدمار.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **[مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً]**[5].

٢- قول الله عز وجل:

(إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم

١- رواه مسلم، أنظر رياض الصالحين (١٠٣). ٢- منه الفتاوى أحكام القرآن للجصاص (٢/٢٦٧، ٣١٨). ٣، ٤- أحكام القرآن للجاص (٢/٣١٨)

القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) (البقرة: ١٧٤).

هذه الآية نزلت في اليهود وأهل الكتاب الذين كتموا صفة النبي ﷺ في التوراة، وحرفوها حتى يصدوا الناس عن دين الله.

إلا أن القاعدة الأصولية: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)، فلفظ الآية عام في كل من كتم دين الله وكتابه وشرعته.

وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما[1] كلمة الفصل في مثل هذه الآيات، وتعتبر القاعدة الأساسية في مثل هذا الموضوع (كل ما ذم الله أهل الكتاب عليه فالمسلمون محذرون من مثله).

يقول الفخر الرازي[2]: (دلت الآية على تحريم الكتمان لكل علم في باب الدين يجب إظهاره).

يقول القرطبي[3]: (هذه الآية وإن كانت في الأحبار فإنها تتناول من المسلمين من كتم الحق مختاراً لذلك بسبب دنيا يصيبها).

فعلى الذين يقعدون عن العمل لدين الله، لايحركون ساكناً، ولا يامرون بالمعروف، ولا ينهون عن منكر أن يعلموا مصيرهم الذي ينتظرهم عند خالقهم الذي لا يكلمهم ولا يزكيهم وأعد لهم عذاباً أليماً.

٣- قوله عز وجل:

(وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون) (آل عمران: ١٨٧).

هذه الآية كسابقتها تتكلم عن أهل الكتاب، إلا أن المفسرين يرون أنها عامة لهم ولغيرهم، والقرآن أشرف الكتب، قال الحسن وقتادة[4]: هي في كل من أوتي علم شيء من الكتاب، فمن علم شيئاً فليعلمه، وإياكم وكتمان العلم فإنه هلكة، وقال علي بن أبي طالب[5]: ما أخذ الله على الجاهلين أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا.

وقال أبو هريرة[6]: لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء، ثم تلا هذه الآية.

وقال محمد بن كعب[7]: لا يحل لعالم أن يسكت على علمه، ولا لجاهل أن يسكت على جهله، حكي أن الحجاج[8] أرسل إلى الحسن وقال: ما الذي بلغني عنك؟ فقال: ما كل الذي بلغك عني قلته ولا كل ما قلته بلغك.

قال: أنت الذي قلت إن النفاق كان مقموعاً فأصبح قد تعمم وتقلد سيفاً، فقال: نعم، فقال: وما الذي حملك على هذا ونحن نكرهه؟ قال: لأن الله أخذ ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه، وعلى هذا فهذه الآية وما قبلها موجبة لإظهار علوم الدين وتبيينه للناس، سواء من جهة النص أو جهة المدلول (المعنى)، وما يستنبط من النصوص من أحكام، ولا تقبل توبة كاتم العلم إلا بالتبيين، بدليل قول الله عز وجل.

(إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) (البقرة ١٥٩-١٦٠).

فبينت الآية أن توبة كاتم العلم تقبل بشرط واحد: إذا بين ما علمه الله إياه من الهدى، ولفظ الهدى شامل لكل العقيدة والشريعة سواء جاءت في القرآن أو السنة.

وبيان الحق اليوم يحتاج إلى جهود ضخمة ينوء لحملها الفرد الواحد، ومن هنا لا بد من التعاون على إظهاره بأن تتكاتف جهود المخلصين، وتنظم طاقتهم، وينسق بين أعمالهم حتى تؤتي ثمارها.

فعلى القاعدين عن العمل لدين الله أن يحذروا، ويشفقوا على أنفسهم من أن تمسهم لعنة الله، والملائكة ودواب الأرض وهوامها وعليهم أن يبادروا بمحاولة إظهار الخير، وأن يستبقوا الخيرات، ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر حتى ينالوا ثواب الصادقين المهتدين -إن شاء الله-.

---

[1] تفسير التحرير والتنوير لمحمد طاهر عاشور (٢/٦٥). ٢- تفسير الرازي (٥/٣٠) طبعة (٣٢) مجلداً. ٣- تفسير القرطبي (٢/٢١٦).

[4] انظر تفسير القرطبي (٢/٢١٦)، وتفسير الرازي (٩/١٣٠)، والدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي، وأحكام الجصاص (١/١٢٤).

[5] انظر تفسير القرطبي (٢/٢١٦)، وتفسير الرازي (٩/١٣٠)، والدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي، وأحكام الجصاص (١/١٢٤).

[6] انظر تفسير القرطبي (٢/٢١٦)، وتفسير الرازي (٩/١٣٠)، والدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي، وأحكام الجصاص (١/١٢٤).

[7] تفسير القرطبي (٢/٢٠١). ٨- تفسير الرازي (٩/١٣٠).

طريقك أيها الداعية

وأما العزلة فإنما تكون في المجتمع الجاهلي عزلة شعورية فقط، ولا يمكن أن تتم العزلة العملية بادئ ذي بدء بالنسبة للدعوة، وأما العزلة العملية فإنها لا تتم إلا بعد قيام المجتمع المسلم الذي تهيمن عليه شريعة الله، وينفذ فيه حكمه وسلطانه، وهنا تكون المفاصلة العملية، ولو فكرت الدعوة في مراحلها الأولى أن تعتزل المجتمع الجاهلي، وتعيش في الصحاري والكهوف فإن هذا يؤدي إلى تجمد الدعوة، وبعدها عن الناس الذين يمثلون المادة الخام للدعوة الإسلامية، ولهذا فإن رسول الله ﷺ بقي في مكة ولم يسكن في كهف من الكهوف في جبال مكة، ولم يترك مكة لطواغيت الكفر، بل بقي يبلغ الدعوة ويصلي صلاته في فناء الكعبة التي يحيط بها وبداخلها (٣٦٠) صنماً.

لكن على الداعية وهو يخوض معركته مع الجاهلية أن يستصحب في أعماقه معرفة عظمة الله وقدرته، ويشعر تجاه الناس الذي يؤذونه بالشفقة والرحمة، وما أصدقه من تعبير: **(اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)**.

إن الخروج من المجتمع الجاهلي والفرار منه أمر أسهل على الداعية من القضاء بين عتاة الكفر الذين قدت قلوبهم من صخر، روى الإمام أحمد عن ربيعة بن عباد: رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: **{يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا}**، والناس يجتمعون عليه، ووراءه رجل أحول ذو غديرتين -جديلتين- يقول: إنه صابئ كاذب، يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمه أبو لهب)[1].

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال: (بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ، والنبي ﷺ ساجد لا يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان إلى فاطمة، فجاءت وهي جويرية فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً، ثم قال: **{اللهم عليك بقريش}** ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال: **{اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبه بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عقبة وأمية بن خلف،وعقبة بن أبي معيط}**[2]. وذكر السابع لم أحفظه، فوالذي بعث محمداً بالحق لقد رأيت الذي سمى صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب -قليب بدر-، وعلى هذا فلم يخرج رسول الله ﷺ من مكة، بل بقي صامداً أمام الجاهلية يحطم عقائدها بالقرآن، ويدمر كيانها بالتنظيم الذي يأخذ أفراده من هذا الوسط الجاهلي الصاخب.

يقول الأستاذ سيد قطب في مقدمة سورة الرعد (د/٦١): (إن الجيل يعيش في جاهلية كالتي نزل القرآن ليواجهها، بينما هم لا يتحركون بهذا القرآن في مواجهة الجاهلية كما كان الذين تنزل عليهم القرآن أول مرة يتحركون...، وبدون هذه الحركة لم يعد الناس يدركون من أسرار هذا القرآن شيئاً، فهذا القرآن لايُدرِكُ أسراره قاعد، ولا يعلم مدلولاته إلا إنسان يؤمن به، ويتحرك به في وجه الجاهلية لتحقيق مدلوله ووجهته)، ولذا فقد (انماعت) وذبلت في حس الجيل، وتصوره مدلولات القرآن وأبعاده الحقيقية، وانحرفت في حسه مصطلحاته عن معانيها.

دعائم الداعية

لا بد للداعية من دعائم ثلاثة:

١- العلم. ٢- الرفق. ٣- الصبر.

أولاً: أما العلم فهو ضروري للداعية لأنه ينقل دين الله، فلا يجوز له أن ينقل كلمة ما لم يتأكد من صحتها: **(ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)**.

لأن العابد الجاهل كالعالم الفاجر سواء بسواء، كلاهما ضرره أكثر من نفعه، وقد نهى رب العزة عن اتباع الظن، وذم الظن في مواطن كثيرة من كتابه العزيز: **(إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لايغني من الحق شيئاً)**.

عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)[١].

وعن مسلم عن المغيرة مرفوعاً: (من حدثَ عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين)[٢].

قال عمر بن عبد العزيز[٣]: مَنْ عَبدَ الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح، وعن معاذ: العلم إمام العمل، والعمل تابعه، لا لله عز وجل لا يقبل عملاً إلا بشرطين: أن يكون خالصاً وصواباً، والخالص: أن يكون صادقاً لوجه الله لا يخالطه رياء ولا شرك صواباً: موافقاً للسنة، وهذا معنى قوله تعالى: (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) كما قال الفضيل بن عياض: وهو كذلك معنى الآية:

(ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً) (النساء).

فإسلام الوجه: هو الإخلاص، والإحسان: أن تعمل العمل موافقاً للشرع، وهو معنى دعاء عمر بن الخطاب[٤] رضي الله عنه اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد منه شيئاً).

وعن سعيد بن جبير[٥]: لا يقبل قول وعمل إلا بنية، ولا يقبل قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة.

وعن الحسن البصري: لا يصلح قول وعمل إلا بنية، ولا يصلح قول وعمل إلا بموافقة السنة.

ثانياً: أما الرفق فقد وردت أحاديث كثيرة صحيحة فيه: ففي صحيح مسلم عن جرير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ ل: (من يُحرَم الرفق يُحرَم الخير)[٦].

وروى مسلم بإسناده عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)، (شة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف)[٧].

وهذا معنى قوله تعالى:

(أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) (النحل: ١٢٥).

وقلوب البشر كالزجاج رقيقة قد تكسرها الكلمة الفظة الغليظة، فتنفر من الداعية، ولا تعود إلى الانجبار والالتئام، وكم من كلمة دخلت إلى القلوب فهزتها، وحركتها وأيقظتها من سباتها، وصدق الله العظيم:

(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) (آل عمران: ١٥٩).

ثالثاً: الصبر، لأن الداعية لا بد أن يتعرض للأذى وهو يقابل الناس بما يخالف معتقداتهم وآرائهم، وينقص مبادئهم، ويسفه مهم، ولذا فقد ورد في النظم الكريم على لسان لقمان لابنه وهو يعظه:

(يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) (لقمان: ١٧).

وكأن النص المبين يشي أن الإيذاء ملازم للأمر بالمعروف، فلا بد من العمل، والصبر وصية الله إلى الرسل أجمعين عليهم الصلاة لام: (ولربك فاصبر).

(فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) (الأحقاف: ٣٥).

لا بد من هذه الأمور الثلاثة للأمر والنهي

العلم قبل الأمر والنهي، الرفق مع الأمر والنهي، الصبر بعد الأمر والنهي.

وقد جاء في الأثر عن بعض السلف رووه مرفوعاً، ذكره القاضي أبي يعلى في المعتمد[٨]: (لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيهاً فيما يأمر به، فقيهاً فيما ينهى عنه، رفيقاً في ما يأمر به، رفيقاً فيما ينهى عنه، حليماً فيما يأمر به، حليماً فيما ينهى

ـر مسلم (٢/٢٥٢) الحديثان (١٨٦٢، ١٨٦٣).
٢- مختصر مسلم (٢/٢٥٢) الحديثان (١٨٦٢، ١٨٦٣).
٣- فتاوى ابن تيمية (٢٨/١٣٦، ٢٨/١٧٧).
ع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/١٧٦).
٥- مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٨/١٣٦، ٢٨/١٧٧).
٦- مختصر صحيح مسلم (٢/٢٣٤).
ـر صحيح مسلم (٢/٢٢٤).
٨- مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/١٣٧).

أجر العاملين

طوبى للدعاة:(وطوبى: الجنة، وقيل هي شجرة فيها)[1].

ففي صحيح مسلم: {**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء**}، وزاد أحمد {**قالوا يا رسول الله ومن الغرباء؟ قال: النزاع من القبائل**}، وفي رواية الترمذي: {**الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي**}، وفي رواية أحمد والطبراني:{**قوم قليل في قوم سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**}.

١- النهاية في غريب الحديث (٣/١٤٠).

ملاحظة: هذا الكتاب (حكم العمل في جماعة) النظرة الثاقبة والرأي السديد في ضرورية العمل الجماعي للذين يحاولون إعادة الصرح العظيم.

كيف فهم الصحابة والتابعين فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وحقيقة العزلة في المجتمع الجاهلي والمجتمع الإسلامي.